الاعتقال والمعتقلون بين الاعتراف والصمود

بقلم : نبيل الجولاني

الصراع أيّ صراع هو صراع من أجل الحضارة، يشمل الاستراتيجية والتكتيك على كلّ الأصعدة الفكرية والثقافية والعلمية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والدينية والاجتماعية بكل تفاصيلها.

والذي يخوض الصراع عادة الجماعة، أو الجماعات المتصارعة فيما بينها، وللفرد هنا الدور المهم والحاسم في إدارة دفة الصراع وانجاحه والانتصار فيه ، وهذا النصر هو نصر للجماعة كلها على اعتبار أن كل فرد من أفراد مفاصل الصراع هذه قام بدوره المنوط به، فالمثقف يخوض معركة الثقافة والاقتصادي يخوض معركة الاقتصاد و السياسي يخوض المعترك السياسي وهكذا دواليك .

والمعتقل هنا عنصر مهم فيما ذهبنا اليه، فهو يواصل خوض معركة الصمود والتحدي داخل المعتقل أثناء التحقيق كما خاضها خارجه.

ولهذا ينبغي أن يواصل القتال أثناء التحقيق كما قاتل قبله .

بل بشكل أصلب وأقوى باتزان ومهارة وجرأة مشروعه، يؤطرها الحسّ الوطني الثوري وطهارة وصحة الانتماء، طالما اعتبر نفسه جزءا من هذا الصراع المحلي والعربي و العالمي.

(حتى لا يجد المحقق تلك الثغرة التي يستطيع الولوج منها الى مفاتيح الإرادة، وحتى لا يكون الانهيار المدمر والانسلاخ عن العمل الوطني وبالتالي التعاون والخيانة).

والمعركة أيّة معركة ينبغي على المرء أن يخوضها حتى آخرها بكل الوسائل و الامكانيات حتى ينتصر . وهذا يتطلب شحذ الإرادة الصلبة والعزيمة والإقدام والمبادرة للرد على الهجوم المضاد، وسحقه وهزيمته في نهاية المطاف، والانتصار للنفس وللجسد ولروح المقاومة والإرادة والتحدي. إنها معركة مستمرة في الداخل (داخل المعتقل) اثناء التحقيق كما كانت خارجه، إنه الصراع المفتوح على مصراعيه، الصراع على كل شيء وعلى أيّ شيء مهما كلف من ثمن ومن تضحيات.

إنه التصدي والتحدي (مواصلة المعركة) قد يتغير المحقق أو يتكرر، ولكن أنت (المعتقل) ينبغي عليك ألّا تتغير طالما لم يتغير السلاح، ويجب عليك أن تبقى ثابتا صامدا شاهرا انتمائك وصلابتك وكرامتك وموقفك النهائي كما كان في البداية.

إن الذي يحدد صمود المعتقل أثناء فترة التحقيق، ويمنعه من الاعتراف نوع ومنبت نشأته، ومدى علمه وعمق ثقافته واتساعها، وشريحته الاجتماعية وتوجهاته الفكرية والتزامه الحزبي، ومدى تداخله في النسيج المجتمعي، وتجربته وبراعته وحنكته ودهائه وذكائه وخبرته وإيمانه بعدالة قضيته، وصدق انتمائه وشرعية نضاله ...هذه المحدّدات و غيرها التي بها يدير المعتقل معركته مع المحقق .

فطالما أن هذا المعتقل المناضل يعتبر نضاله ضد الاحتلال شرعيا و مشروعا، فمن البديهي والمشروع أيضا أن لا يعترف للمحقق المحتل، طالما أن هذا الاحتلال غير شرعي و غير مشروع وغير معقول وغير مقبول.

والذي يحدد أن لا يعترف المعتقل المناضل أيضا مدى انسجام حزبه وترابطه وتماسكه تنظيميا وفكريا وسياسيا .

فالأحزاب التي لها خط أيديولوجي نرى نسبة اعتراف معتقليها أقلّ من تلك الفصائل التي لا تتبنى خطا فكريا معينا .

مع أنني أُكن كلّ مشاعر الإعزاز والإجلال و الإكبار لكل معتقلينا وأسرانا كافة دون التفريق بين أسير و آخر من معتقلي أبناء شعبنا على الاطلاق.

وإني أرى أيضا أنه ليس بطولة أو مفخرة أن يستعرض أيّ فصيل- أو يدعي بأن له – عددا أكبر من المعتقلين في السجون الاسرائيلية من باقي الفصائل الأخرى، أجل إنه ليس بطولة أو مفخرة، فالسجن ليس صرحا إبداعيا شامخا لنا، وهو ليس برلمانا نَدرُس فيه دستورنا وحريتنا، أو ناديا نمارس فيه هواياتنا، أو بستانا نقطف منه الورود والأزهار.

هذا هو القائد حسام خضرالمناضل، الكاتب في كتابه الوثيقة(الاعتقال والمعتقلون بين الاعتراف والصمود) حسام خضر الوطني، البرلماني المنهجي،حسام خضر النقاء والعطاء والصفاء والإخاء والفداء والانتماء، حسام خضر الذي دَمَجَ حسه وأحاسيسه وفكره وأداءه الوطني في تجربة اعتقالية حملت الرواية والقصة والقصيدة واللوحة التشكيلية والمسرحية ورقصة الانتصار، وأغاني البطولة والصلاة والإيمان وفلسفة التاريخ وجذور التراث، وعلم وأصول المعرفة السياسية وأساليب التكتيك وثبات الاستراتيجية، روى لنا ملحمة البطولة التي يسطرها أسرانا ومعتقلينا.. جنرالاتنا مقاتلونا الذين يحملون ألامنا وأحلامنا يواجهون بها صلف الجلادين المحققين داخل غرف التحقيق، كما واجهوها بإقدام وحماس عال قبل الاعتقال بشكل أسطوري في هذا الزمن الرديء.

وعود على بدء أما بخصوص أن الاعتراف خيانة أم لا :فالاعتراف في رأيي يحمل الخيانة في طياته طالما أن المعتقل قد اعترف على نفسه وعلى من معه،

إذن فهو خان نفسه وإخوانه ورفاقه وهي عكس المقاومة.(فالصمود في رأيي يحمل المقاومة في طياته...الصمود يعني الرد من أجل الحماية وخلق التوازن الداخلي والخارجي).

فالانسان الذي يقع تحت إغراء المال في مجرى حياته عشرات المرات ويقاوم هذا الإغراء ثم يضعف ويسرق فهو سارق يعاقب على فعلته هذه حسب القوانين..

فالاعتراف خيانة لأنها ستصبح نهجا في حياة المعترف يستكين ويهون وبالتالي يسهل الهوان عليه في مجمل شؤون حياته المختلفة، وعلى كل الأصعدة والمستويات، إنها رابطة جدلية بين الشكل والمضمون، بين الفعل والفكر، بين الآداء والسلوك والمنهج، بين الوعي و غياب الوعي، بين الشر والخير ، بين الانتماء والعزة والكرامة والتهتك .

(وأخيرا اذا كان الكلام من فضة فالسكوت خطيئة)

obeikandl.com